

هي وابنتها

لنا أدري

هل كانت صدفة حسنة أم سيئة

حين صعدت إلى القطار

فوجدت مقعدى إلى جوارها

شابة فى مقتبل العمر ، حسنة الملامح

وتصطحب طفلة فى جمال الزهور

لكنها كانت تجلس شاردة

وحزينة

استرقت إليها النظر عدة مرات

لم تلتفت

حاولت مداعبة الطفلة

لم تهتم

وعندما توقف القطار في المحطة الأولى

صعد باعة المثلجات والسميط والحلاوة

اشتريت لنفسى

ووجدتها فرصة أن أسألها

- هل تريدين شيئاً ؟

- متشكرة

- لكن دعيني احضر شيئاً للبنت

لم ترد ..

فابتعت للصغيرة بعض الحلويات

التي فرحت بها كثيراً

واقتربت مني فأجلستها بجواري

وفجأة .. لمحت أمها تبكي

وتحاول كتمان نשיجها

سألتها :

- ماذا بك ؟ هل تشكين من شيء ؟

ظلت تبكى وأنا أعيذ المسؤال

وأخيرا قالت بانفعال :

- لقد رمى على اليمين

وطردنى مع المبت من البيت

- زوجك ؟

نظرت إلى باستغراب . استدركت :

- ولماذا ؟ وما السبب ؟

- أبدا ، لقد أصبح عصبيا جدا

ولم يعد يطيقنا معه

- ولماذا لم يتدخل أحد من أقاربك ؟

- ليس لى أقارب فى الإسكندرية

- وأنت إلى أين تذهيبن الآن ؟

- عند أمى فى حى المضاهر

لكن زوجها رجل صعب جدا

وإذا لم يقبلنى

سأذهب إلى أقارب المرحوم أبى

فى كفر الشيخ

حاولت تهدئتها قدر استطاعتى

وكلما توقف القطار فى إحدى المحطات

زادت معرفتى بأحوالها

هى من القاهرة

وتزوجت فى الإسكندرية

والمزوج يعمل يوما

ولما يعمل أياما ..

وقد صار مدمنا

وحيثما يتمكن من شراء الكيف

ينقلب على زوجته بالإهانة والضرب

وفى ثورة غضبه الأخيرة

حلف عليها بالطلاق

سألتها :

- وماذا تنوين أن تفعلى الآن :

انخرطت فى الميكاء وهي تتمتم:

- لنا أدري..

أما ابنتها الجميلة

فكانت تلعب حول مقاعدنا

وتنظر أحياناً من شباك المقطار

ولما تكاد تفهم شيئاً من حال أمها

\*[]\*

اعتدلت فى مقعدى

ورحت أفكر فى حل لمشكلتها

هل أعطيتها بعض المال ؟

أم اصطحبها لمنزل أمها ،

وأتحدث مع زوجها لقبولها عندهما ؟

أم أَدعوها إلى منزلي

لتقيم فيه عدة أيام

حتى تنحل مشكلتها ؟

عرضت عليها المال

رفضت بشدة

وقالت أن معها خمسين جنيها

وسوف تبيع حلقها لتنفق منه

قلت لها :

— هل تقبلين أن أصحبك إلى منزل أمك ؟

استنكرت ذلك ، وقالت :

- إن زوج أمي رجل شكّاك

ولن يقبل أبدا بوجودك !

لم يبق إلّا الحل الثالث

لكنني لم أخبرها به

\*[]\*

في محطة مصر

ساعدتها في حمل حقيبتها

بينما حملت هي ابنتها

وخارج المحطة

استوقفت لها أول تاكسي

وطلبت من الميائق أن يوصلها إلى حي المضاهر

ودفعت له الأجرة مقدما

نظرت إليها

كانت عيناها ممتلئتين بالدموع

والطفلة ممسكة بالحلوى

التي اشتريتها لها من القطار

\* [] \*

مررت أعوام ..

وأنا مازلت أحتفظ في ركن مهجور من قلبي

بوجه المشابهة الحزينة

وابنتها الصغيرة

وأشعر أنهما كانتا من صميم مسئولتي

لكنني تخليت عنها!

---